التفكير البصري كأحد أنماط التفكير الغير لفظي ومدي تأثيره على العملية الاتصالية

أميرة صلاح الدين خـــليل مدرس الجـرافيك كلية الفنون والتصميم جامعة فاروس بالإسكندرية– جمهورية مصر العربية

ملـــخص البحث

أن أنماط الاتصال، تقوم على أكثر من مجرد المدركات الشخصية فى اللحظة التى يحدث فيها الاتصال؛ والإدراك و هو تجميع المعلومات عن طريق الحواس، ثم تنظيمها بشكل معين لاستخراج المعنى، فالإدراك إذن هو عملية معقدة يتم عن طريقها تفهم خبراتنا، فنحن نعتمد على حواسنا فى إمدادنا بالبيانات، ونعتمد على خبراتنا، وأفكارنا، ومبادئنا لتنظيم وتفسير وشرح ما نراه ونسمعه ونتذوقه ونلمسه" . ولا يمكننا أن نوجه انتباهنا إلى كل ما يتم استقباله عن طريق حواسنا من البيئة المحيطة، فهناك الكثير منها يتدفق إلى حواسنا، ونحن نتعلم كيفية انتقاء المثيرات الأكثر أهمية لنا ، وهذه الاختلافات تنشا تبعاً للسمات المميزة لكل شخص، وللاختلافات فى خلفيات البشر أو خبراتهم، أو أدوارهم فى الحياة

ويعتبر الجمهور المستهدف أهم متغير فى عملية الإتصال ، فإن لم يكن القائم على التصميم على دراية بطبيعة الجمهور العقلية والعاطفية ، فسوف يحد ذلك من قدرته على التأثير والإقناع مهما كانت مقدرته الاتصالية ومهما أحسن اختيار الوسيلة الإعلانية، فالجمهور المستهدف هو الذى يحدد مدى فاعلية الرسالة الإعلانية . ولنكون قادرين على إيصال الأفكار والأحاسيس كمصممين من خلال العمل لابد لنا من الإلمام باللغة البصرية واللغة البصرية – شأنها شأن أي لغة أخرى – كوسيلة اتصال لها مفرداتها وقواعدها, بين هاتين الشريحتين (الفنان والمتلقي) أياً كان وضعه التعليمي أو الإجتماعي أو العمري .ويعتبر التفكير البصري احدي تلك المهارات الاتصالية بين المصمم والمتلقي وهذا النوع من التفكير يعتمد على ما تراه العين وما يتم إرساله من شريط من المعلومات المتتابعة الحدوث (المشاهدة) إلى المخ حيث يقوم بترجمتها وتجهيزها وتخزينها فى الذاكرة لمعالجتها فيما بعد . وهو عبارة عن مرحلة تفاعل داخلية ؛ تتضمن المزيد من التعامل مع التصور العقلى وهو أكثر ارتباطاً مع بقية المراحل سواء حسياً أو انفعالياً ، ويقوم التفكير البصرى بتنظيم تلك الصور العقلية التى تدور حول الأشكال، والخطوط، والألوان، والأنسجة، والمكونات" لتصميم ناجح وقوي واتصال فعال .

فيمكننا أن نلخص ونجمل كل العلاقات بين الصور البصرية والعناصر اللفظية فى أن "الصور تتمم الكلمات، والعكس صحيح"، ولقد تم ذكر هذا التكامل اللفظى البصرى منذ أكثر من عقد من الزمان، تحت عنوان "التكامل البصرى اللفظى"، فعندما لا يتم توظيف الصورة بشكل جيد فلن تستطيع الكلمات بمفردها توضيح المعنى، وبنفس الطريقة فلا يمكنك أن تعرض شيء ما بينما تقول شيئا أخر، فالنتيجة فى هذه الحالة هى تحطم العلاقة بينهما وقطع الصلة التى تربطهما . فهناك بنية موجودة فى الصورة واللغة، لكن بنية المعلومات فى الصور المحيطة أكثر ثراء واستمراراً من بنية المعلومات الموجودة فى اللغة. إن كل فنان يعرف أن هناك أفكاراً يمكن التعبير عنها بصرياً دونما حاجة للتعبير الفظى عنه ا؛ فاللوحة . فى رأيه . هى عرض للمعلومات البصرية التى لا تتكون من نقاط لونية أو أشكال مألوفة ذات معان محددة فقط ، لكنها تكون أيضاً ذات تنظيم بصرى يتكون من تدريج من الوحدات المتفاعلة .لذلك فلقد نشأ هذا النوع من التفكير في مجال الفن ، لاعتبار أن المتلقي ينظر إلى رسم ما فأنه يفكر تفكيرا بصريا لفهم الرسالة المتضمنة في الرسم ،والمصمم عندما ينظر الي اللغة اللفظية ويترجمها الي لغة بصرية ناجحة من خلال قدرته علي التفكير البصري الناجح وبالتالي يجمع بين أشكال الاتصال البصرية واللفظية في الأفكار . لما له من قدرة عقلية مرتبطة بالجوانب الحسية البصرية حيث يحدث عندما يكون هنالك تناسق متبادل بين ما يراه المتلقي من أشكال ورسومات وعلاقات وما يحدث من ربط ونتاج عقلي معتمد على رؤية الشكل المعروض لأن التمثيل بالأشكال البصرية يدعم التفكير البصري من ناحية قدرة رؤية العلاقات الداخلية . وقدرة الكشف عن العلاقات النسبية في أبعاد الشكل وهذا يعني أن التفكير البصري نمط للتفكير تتداخل فيه طرق ثلاث من التفكير هي : التفكير بالتصميم ، التفكير بالرؤية ، والتفكير بالتصور . وعليه فأن التفكير البصري يشكل منظومة تعكس قدرة المصمم على قراءة ماهو لفظي وتحويله الي اللغة البصرية ومن جانب المتلقي يدرك تلك اللغة البصرية التي تم صياغتها من قبل المصمم وتحويلها إلى لغة لفظية لتحقيق عملية اتصال ناجحة لما يرجو اليه المصمم في التصميم

الكلمات المفتاحية: التفكير البصري أنماط التفكير الغير لفظي العملية الاتصالية

مقـــــدمة البحث

أن أنماط الاتصال، تقوم على أكثر من مجرد المدركات الشخصية فى اللحظة التى يحدث فيها الاتصال؛ والإدراك يقوم بتجميع المعلومات عن طريق الحواس، ثم تنظيمها بشكل معين لاستخراج المعنى، فالإدراك إذن هو عملية معقدة يتم عن طريقها تفهم خبراتنا، فنحن نعتمد على حواسنا فى إمدادنا بالبيانات، ونعتمد على خبراتنا، وأفكارنا، ومبادئنا لتنظيم وتفسير وشرح ما نراه ونسمعه ونتذوقه ونلمسه"[1].

ويعرف روندا روبنسون[*] الإدراك بأنه ليس عملية مطلقة ، لأن هناك اختلافات فى الإدراك وهى أن مدركاتنا محدودة بخبراتنا ، ولا يمكننا أن نوجه انتباهنا إلى كل ما يتم استقباله عن طريق حواسنا من البيئة المحيطة، فهناك الكثير منها يتدفق إلى حواسنا، ونحن نتعلم كيفية انتقاء المثيرات الأكثر أهمية لنا ، وهذه الاختلافات تنشا تبعاً للسمات المميزة لكل شخص، وللاختلافات فى خلفيات البشر أو خبراتهم، أو أدوارهم فى الحياة، ومشاعرهم أيضاً" ريتشارد شتيرن[**].

ويعتبر الجمهور المستهدف أهم متغير فى عملية الإتصال ، فإن لم يكن القائم على التصميم على دراية بطبيعة الجمهور العقلية والعاطفية ، فسوف يحد ذلك من قدرته على التأثير والإقناع مهما كانت مقدرته الاتصالية ومهما أحسن اختيار الوسيلة الإعلانية، فالجمهور المستهدف هو الذى يحدد مدى فاعلية الرسالة الإعلانية. ,وهناك عدة مفاهيم لها الأثر فى عملية الترجمة المستمرة للمدخلات المرئية من خلال العين، وذلك فيما يسمى بقوانين التنظيم الإدراكى للمجال البصرى وهي (الانتباه[***]....Attention – الإدراك Perception) و يفرق علم النفس ما بين مفهومى الإحساس (Sensation) والإدراك (Perception)، فالإحساس يحدث عندما يتلقى أحد أعضاء الحس منبهاً. أما الإدراك فما هو إلا عملية ترجمة عقلية لهذا المنبه أو المثير(Stimulus)، ومن وجهة نظر القائمين على الأتصال يعرف الإدراك بأنه عملية تلقى وتنظيم واستيعاب المعلومات والمثيرات عن طريق الحواس، ومن ثم قيام المتلقى بعملية المعالجة الذهنية التى تمكنه من فهمها وترجمة معانيها ودلالاتها المعرفية، من خلال إطار الخبرات السابقة لديه. ويقوم الإدراك على قانون أساسى ، يبدأ بالإدراك الإجمالى للشكل ككل ثم ينتقل إلى التفاصيل ثم يرتد إلى إدراك الكل إدراكاً واضحاً ثرياً[2].

فالإدراك البصرى هو العملية التى يقوم الفرد عن طريقها بتفسير المثيرات الحسية. حيث تقوم عمليات الإحساس بتسجيل المثيرات البيئية، بينما يقوم الإدراك بتفسير هذه المثيرات وصياغتها فى صور يمكن فهمها. وهو قدرة العقل على ترجمة الصور البصرية التى تراها العين لتكوين صور كلية عن العالم الخارجى.وإنما على أساس قوانين تنظم ذلك المجال، فلغة الشكل المرئى تتحمل إلى جانب واقعها البنائى أبعاداً إدراكية تتمثل فى مدلولاتها الرمزية. حيث يضفى العقل على الأشكال أبعاداً رمزية ومدلولات استعارية يحولها من مجرد عناصر إلى أدوات تعبيرية ووسائل بصرية توجه وتستقبل بما يكفى التفاهم بين المتعاملين[3]

، وبالرغم من وجود فروض للثبات الإدراكى، إلا أنه يمكن للمتلقى أن يتكيف مع التشوه البصرى. فالإدراك نشاط عقلى مرن يتعامل مع مدركات متغيرة وأنماط عديدة يتم التأقلم معها بمرور الوقت[4]، وعقل المتلقى لا يميل إلى العناصر المتنافرة، ومن ثم يُرجِع ذلك إلى قوانين وصيغ التنظيم البصرى كالتقارب والتشابه...الخ، التى تعمل على تجميع أجزاء المثيرات أو العناصر البصرية.

مشكلة البحث : تتلخص مشكلة البحث في زيادة فاعلية التفكير البصري ومدي تأثيره علي فاعية المحتوي البصري للرسالة الاتصالية خاصة بما يتناسب مع بيئة ومجتمع الجمهور المستهدف وطرق التمثيل الحديثة وفقاً للتطور التكنولوجي المستمر.

(1) فرانسيس دواير وديفيد مايك مور ، الثقافة البصرية والتعليم البصرى ، الجمعية الامريكية الدولية للثقافة البصرية "IVLA" ، ترجمة نبيل جاد عزمي أستاذ تقنيات التعليم المشارك كلية التربية - جامعة حلوان ، مكتبة بيروت ، سلطنة عمان .، ص 40- 60 .

* روندا روبنسون ..... أستاذ التربية في جامعة شمال الينوى لمدة ثلاثة عشر عاماً ، وتشرف على برامج الماجستير، وتدرس مقررات متعددة فى مجال تكنولوجيا التعليم، وتعمل في مجال البحث، والتصميم، والتطوير، وقد حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة ويسكونسن، واهتماماتها البحثية تنصب على أساليب توظيف التطبيقات التكنولوجية في المجال التعليمى.

** ريتشارد شتيرن ... أستاذ مساعد علم الأديان فى معهد مينراد لعلم اللاهوت فى سانت مينراد، ولاية إنديانا، وفيما سبق كان يعمل فى قسم الاتصال بجامعة شمال الينوى، وكان أيضاً محاضراً في مجال الخدمات المالية.

(2) دعاء فاروق بدوى ، عوامل تحقيق الإدراك البصرى بين الملصق الإعلانى الداخلى وملصق الطريق، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2001، ص 22.

(3) Barry, Ann Marie Seward: Visual Intelligence, Perception and Manipulation in Visual Communication, State University of New York Press, 1997, p. 39.

(4) نجلاء سمير حسنين ،تنمية الوعى الإدراكى لجمهور الإعلان فى مصر من خلال الاستراتيجية التصميمية، ص 30.

هدف البحث : تنمية مختلف قدرات التفكير البصري لدي المصمم الجرافيكي للانتقال من التقليدية الي منهج أكثر استجابة لدي الجمهور , كما يهدف كذلك إلي إحداث أساليب متنوعة يقوم فيها المصمم بالتفكير البصري المتقدم وبالتالي الترجمة البصرية التي يقوم من خلاله بحل المشكلة البصرية التي يكون بصدد حلها بشكل مختلف من زوايا مختلفة لتوافر حلول غير متوقعة وغير تقليدية واكثر تواصلاً بينه وبين المتلقي .

أهمية البحث: الإنتقال بعمليات التصميم من المنهج التقليدي إلي منهج يتناسب مع التطور التكنولوجي ومواكبة الاساليب الالكترونية الحديثة, مما يدفع المصمم إلي ابتكار أشكال وهيئات لم تكن موجودة من قبل تجبر المتلقي علي التفاعل مع الرسالة الاعلانية من خلال تسخير كل القوي الفكرية والاتصالية من أجل الوصول لاستراتيجية تصميمية تتفق مع المفاهيم البصرية التي يرغب المصمم في نقلها للمتلقي .

منهج البحث : يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي

حدود البحث : دراسة المفاهيم المرتبطة بعملية التفكير البصري والتي تؤثر بدورها في مدي حل المشكلة البصرية والاساليب التي تستخدم لتنمية التفكير البصري وتأثيره علي الرسالة الاعلانية . كوسيلة اتصال لها مفرداتها وقواعدها, بين هاتين الشريحتين (الفنان والمتلقي) أياً كان وضعه التعليمي أو الإجتماعي أو العمري .

الدراسات السابقة

- رانيا ممدوح محمود جبر : العمل المركب في الاعلان (دراسة تحليلية علي نماذج من الاعلانات المحلية والعالمية) , رسالة ماجيستير , كلية الفنون التطبيقية, قسم الاعلان , جامعة حلوان ,2007.
- دعاء فاروق بدوى ، عوامل تحقيق الإدراك البصرى بين الملصق الإعلانى الداخلى وملصق الطريق، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2001.

وتتناول هذه الدراسات التفكير بشكل عام والنتيجة التي طرأت علي مجال التصميم الجرافيكي بشكل عام . كما يتناول بعضها أيضا الافكار المبتكرة في الحلول البصرية للمشكلات الإتصالية المختلفة .

ومن هنا يتضح أن الجديد في موضوع البحث يرتبط بتناول الامور التالية :

- هو تناول التفكير البصري علي وجه الاخص كأحد اساليب التفكير الغير لفظي ومدي تأتيره علي الناتج الفني وكيفية حل المشكلة الاتصالية التي يسعي المصمم لحلها وايجاد طرق وبدائل متعددة مبتكرة بعيدة عن التقليدية والجمود.

قائمة المصطلحات

- **اللغة البصرية Visual Language**

إن اللغة البصرية هى "مجموعة من الكفايات البصرية التى يمتلكها الإنسان بواسطة الرؤية، وفى نفس الوقت عن طريق دمج وتكامل بعض الخبرات الحسية الآخرى، وتطوير هذه الكفايات يعتبر من أساسيات التعلم الإنسانى، وعندما يتم هذا التطوير، فإن الفرد المثقف بصرياً يمكنه تميز وتفسير الأحداث والعناصر، والرموز البصرية، والتى يقابلها يومياً فى بيئته. سواء كانت طبيعية أو من صنع البشر، ومن خلال الاستخدام المبدع لهذه الكفايات؛ يمكننا أن نتصل وبكفاءة مع بعضنا البعض.

- **الثقافة البصرية Visual Literacy**

نتتبع معاً تنامى تعريف الثقافة البصرية منذ بداية السبعينات إلي وقتنا الحالى :

- عام 1975 تم تعريف الثقافة البصرية على أنها "القدرة على الفهم والتعبير عن أنفسهم من خلال "المواد البصرية لتمكنهم من ربط الصور المرئية بمعانى ما وراء هذه الصور".
- عام 1980 تم تعريف الشخص المثقف بصريا على إنه "القادر على الحصول على معنى مما يراه "وقادر على توصيل المعنى للآخرين من خلال الصور التى ينتجها.
- تم تعريف الثقافة البصرية على إنها "القدرة على قراءة وفهم ما نراه والقدرة على إنتاج مواد مرئية مفهومة
- فى عام 1982 تم تعريفها على إنها "القدرة المتعلمة على ترجمة الرسائل البصرية بدقة وإنتاج مثل "هذه الرسائل".
- الثقافة البصرية أيضا هى "القدرة على فهم واستخدام الصور متضمنا القدرة على التفكير والتعلم و التعبير عن النفس بصريا.
- الثقافة البصرية على إنها "إعادة تشكيل الخبرات البصرية السابقة مع عرف الرسائل البصرية الواردة للحصول على معنى مع التركيز على الإجراءات التى يتخذها المتعلم للتعرف عليها[1].

(1) أيرين روجوف، دراسة الثقافة البصرية (ترجمة: شاكر عبد الحميد) ، مجلة و فصول العدد 62 ربيع وصيف 2003 ، ص 164 – 180.

- الثقافة البصرية بأنها "القدرة على قراءة تفسير وفهم المعلومات المعروضة فى شكل صور أو رسوم تصويرية.
- عام 2001 تم تعريف الثقافة البصرية بأنها "الثقافة البصرية هى القدرة على تفسير الرسائل وتوليد الصور لتوصيل الأفكار والمفاهيم .[1]

- **التعلم البصري Visual Learning**

قد قامت هذا المفهوم على فكرة ان استخدام المواد البصرية يجعل الافكار المجردة محسوسة فهو يشير الي التعلم من خلال البصريات والي البحث في تصميم البصريات بهدف التعلم ثم ارتبط فيما بعد بمفهوم (تصميم الرسالة Massage Design) ثم ارتبط بمصطلح (قراءة الصورة Reading Picttures) واليوم فإن التعلم البصري يشير علي اكتساب وبناء المعرفة كمحصلة للتفاعل مع الظواهر البصرية .فكيف نتواصل بصرياً؟ وكيف نقرأ رسالة بصرية؟ .

- **الاتصال البصرى ..... Visual Communication**

هو القدرة على توصيل رسالة أو فكرة فى صورة بصرية وهناك عدة نماذج وتعريفات للاتصال، فمعظمنا يعرف الاتصال بأنه علمية تفاعلية أو تبادلية، ومكونات العملية هى فى الغالب، المرسل، والرسالة، والقناة، والمستقبل . وإذا قبلنا هذه المكونات كخصائص مميزة للاتصال . فلابد لكى يحدث الاتصال البصرى أن يكون هناك تبادل للمعنى. وعملية التعلم هى شكل من أشكال الاتصال، و لكى يحدث التعلم؛ فلابد من فهم كل من محتوى وشكل الرسالة المقدمة للتعبير عن الأفكار وتوضيح المعانى

- **التفكير Thinking** : هو ذلك الشئ الذى يحدث أثناء حل المشكلة وهو عملية واعية يقوم بها الفرد عن وعى، ورغم أن التفكير عملية فردية لكنها لا تتم بمعزل عن البيئة المحيطة، أى أن عملية التفكير تتأثر بالسياق الاجتماعى، والسياق الثقافى الذى تتم فيه وأيضا المثيرات الفيزيائية لها تأثير على التفكير أى أن المثيرات الموجودة فى البيئة تدعو الفرد لأن يفكر ويحلل هذه المثيرات وأيضا التفكير يحدث ضمن البيئة الفسيولوجية، وكلما زاد فهمنا بوظائف الدماغ زاد فهمنا لعملية التفكير.
- **التفكير المنطقى logical Thinking** : هو التفكير الذى يمارس عند محاولة بيان الأسباب والعلل التى تكمن وراء الأشياء ومحاولة معرفة نتائج الأعمال، لكن أكثر من مجرد تحديد الأسباب أو النتائج أنه يعنى الحصول على أدلة تؤيد أو تثبت وجهة النظر أو تنفيها.
- **التفكير الناقد Critical Thinking** تفكير تأملى معقول يركز على ما يعتقد به الفرد أو يقوم بأدائه. وعلى تقصى الدقة فى ملاحظة الوقائع التى تتصل الموضوعات ومناقشتها وتقويمها واستخلاص النتائج بطريقة منطقية سليمة ومراعاة موضوعية العملية وبعدها عن العوامل الذاتية كالتأثر بالنواحى العاطفية والأفكار المسبقة والأداء التقليدى .

- **التفكير العلمى Scientific Thinking**

هو ذلك التفكير المنظم الذى يمكن أن يستخدمه الفرد فى حياته اليومية أو فى النشاط الذى يبذله حيث يمارس أعماله المهنية المعتادة أو فى علاقاته مع العالم المحيط وكل ما يشترط فى هذا النوع من التفكير هو أن يكون منظما وضمن خطوات محددة، وأن يبنى على مجموعة من المبادئ التى يطبقها الفرد فى كل لحظة دون أن يشعر به شعورا واعيا.

- **التفكير الإبداعى Creative Thinking**

يعرف التفكير الإبداعى على أنه نوع من التفكير يوضع فى نمط معين بحيث يؤدى إلى نتائج إبداعية ويقصد هنا بأن التفكير يعتبر إبداعيا فى حال انطوى على نتائج إبداعية، فالتفكير الإبداعى يحتاج إلى إيجاد فكرة مبدعة وشخص مبدع بحيث تتحدد هذه السمات الإبداعية عن طريق النتائج. وهو نشاط عقلى يهدف على البحث والوصول إلى نتائج وحلول جديدة وإبداعية فى جميع الحقول العلمية واستخدامها لحل المشكلات القائمة وإيجاد الحلول الملائمة، ويتميز التفكير الإبداعى بالشمول والتعقيد وذلك لتداخل وتشابك جميع العناصر المساعدة فى إيجاده وتطويره.

- **التفكير البصرى Visual Thinking**

هو التفكير الناشئ عما نراه وهو أحد أنماط التفكير الغير لفظى وهذا النوع من التفكير يعتمد على ما تراه العين وما يتم إرساله من شريط من المعلومات المتتابعة الحدوث (المشاهدة) إلى المخ حيث يقوم بترجمتها وتجهيزها وتخزينها فى الذاكرة لمعالجتها فيما بعد. وهو

(1) Electronic Journal for the Integration of Technology in Education, vol. 1, No. 1, 2001.

عبارة عن مرحلة تفاعل داخلية؛ تتضمن المزيد من التعامل مع التصور العقلى وهو أكثر ارتباطاً مع بقية المراحل سواء حسياً أو انفعالياً، ويعرف التفكير البصرى بأنه "تنظيم الصور العقلية التى تدور حول الأشكال، والخطوط، والألوان، والأنسجة، والمكونات".ويشير التفكير البصرى إلى التبصر من خلال الصور، فالصور هى عبارة عن رسوم عقلية للخبرات الحسية، والمدركات، والتخيلات، والتفكير البصرى يعبر فى أبسط صوره عن التعامل مع الرموز التى تمثل العناصر الخاصة بالبيئة الداخلية أو الخارجية باستخدام الصور الذهنية. ومصادر هذه الصور الذهنية تعتبر جزء هام من عمليات التفكير البصرى.

- **الانتباه Attention**

يعتبر الإنتباه الخاصية المركزية للحياة الذهنية، ومهمته الأساسية هى تحويل مادة الإحساس الخام إلى إدراك وفهم من خلال الخبرة الشعورية[1].ولاشك أن الحاجة الطبيعية للإنسان تقتضى وجود تنبيهات حسية، فبدون اليقظة العقلية والاتزان المعرفى تحدث حالة فقدان للتنبيهات الطبيعية، مع الوضع فى الأعتبار أن المبالغة والإفراط فى التنبه الذى يتجاوز طاقة المتلقى على الإدراك ويؤدى إلى أختلاف توازنات عديدة لديه

- **الإدراك Perception**

يعد الإدراك هو العملية النهائية للإحساس. ومن وجهة نظر القائمين على الأتصال يعرف الإدراك بأنه عملية تلقى وتنظيم واستيعاب المعلومات والمثيرات عن طريق الحواس، ومن ثم قيام المتلقى بعملية المعالجة الذهنية التى تمكنه من فهمها وترجمة معانيها ودلالاتها المعرفية، من خلال إطار الخبرات السابقة لديه[2][3].ويقوم الإدراك على قانون أساسى، يبدأ بالإدراك الإجمالى للشكل ككل ثم ينتقل إلى التفاصيل ثم يرتد إلى إدراك الكل إدراكاً واضحاً ثرياً[4].

- **الإدراك البصرى:** هى العملية التى يقوم الفرد عن طريقها بتفسير المثيرات الحسية. حيث تقوم عمليات الإحساس بتسجيل المثيرات البيئية، بينما يقوم الإدراك بتفسير هذه المثيرات وصياغتها فى صور يمكن فهمها. وهو قدرة العقل على ترجمة الصور البصرية التى تراها العين لتكوين صور كلية عن العالم الخارجى.

تمهيـــــــد

لا يزال تعريف كل ما هو بصرى أو لفظى محل نقاش وخلاف، والتعريفات الإجرائية التى سنقدمها فى هذا المقام ليست محاولة للتحايل على المعنى، بل هى فى المقام الأول تحديد لكل ما نلحظه عندما نختبر العلاقات بين ما هو بصرى وما هو لفظى، والتى تكون أحيانا ضعيفة وفى أحيان أخرى قوية ومتماسكة، وبالرغم من هذا، فيمكننا أن نلخص ونجمل كل العلاقات بين الصور البصرية والعناصر اللفظية فى أن "الصور تتمم الكلمات، والعكس صحيح"، ولقد تم ذكر هذا التكامل اللفظى البصرى منذ أكثر من عقد من الزمان، تحت عنوان "التكامل البصرى اللفظى"، فعندما لا يتم توظيف الصورة بشكل جيد فلن تستطيع الكلمات بمفردها توضيح المعنى، وبنفس الطريقة فلا يمكنك أن تعرض شيء ما بينما تقول شيئا أخر، فالنتيجة فى هذه الحالة هى تحطم العلاقة بينهما وقطع الصلة التى تربطهما.فإن 80% من الإدراك يكون بصرياً، أن 75 % من المعلومات القادمة إلى العقل تكون من خلال العين. فأن علاقة المصممين القائميين علي هذا المجالفي تصميم البصريات [*]بمختلف انواعها تعتبر أولى خطوات العملية التصميمية وتكون نواه أساسية لنجاح التصميم ، ولنتمكن من قراءة الأعمال الإتصالية كمتلقين , ولنكون قادرين على إيصال الأفكار والأحاسيس كمصممين من خلال العمل الفني البصري , لابد لنا من الإلمام باللغة البصرية Visual Language[*5*], واللغة البصرية – شأنها شأن أي لغة أخرى – كوسيلة اتصال لها مفرداتها وقواعدها, بين هاتين الشريحتين (الفنان والمتلقي) أياً كان وضعه التعليمي أو الإجتماعي أو العمري [1].

(1) عبد الحليم محمود السيد وآخرون ، علم النفس العام، مرجع سابق، ص 173.
(2) طلعت أسعد عبد الحميد ، التسويق الفعال، مكتبة الشقرى، لبنان، 1999، ص112.
(3) رشاد السيد محمود ،الصور والرسوم فى الإعلان المطبوع بين الواقعة والتعبيرية، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2002، ص 142.
(4) دعاء فاروق بدوى ، عوامل تحقيق الإدراك البصرى بين الملصق الإعلانى الداخلى وملصق الطريق، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2001، ص 22.

** إن اللغة البصرية هى "مجموعة من الكفايات البصرية التى يمتلكها الإنسان بواسطة الرؤية، وفى نفس الوقت عن طريق دمج وتكامل بعض الخبرات الحسية الأخرى، وتطوير هذه الكفايات يعتبر من أساسيات التعلم الإنسانى، وعندما يتم هذا التطوير، فإن الفرد المثقف بصرياً يمكنه تميز وتفسير الأحداث والعناصر، والرموز البصرية، والتى يقابلها يومياً فى بيئته. سواء كانت طبيعية أو من صنع البشر، ومن خلال الاستخدام المبدع لهذه الكفايات؛ يمكننا أن نتصل وبكفاءة مع بعضنا البعض.

إن الرؤية البصرية وترجمتها تعنى سرد الفضاء الذى يشكله مكونات فضاء وديناميكية اللون وذاكرة الأشياء غير المتناهية وحركية الإيقاع وهى فى زمنها وفضاءها الإبداعى ، وعلاقة كل هذا بالمتلقى من قبل المشاهد، ولكي تؤدي الفنون البصرية دورها كوسيلة من وسائل الإتصال المرئي لابد لها أن تراعي الثقافة البصرية للمتلقى والمجتمع لكي تتم عملية التواصل بنجاح وتؤديها هدفها المنشود. وتعتبر الثقافة البصرية من أهم مجالات البحوث المستقبلية فى تكنولوجيا الاتصال ويرجع السبب فى ذلك إننا اليوم نعيش فى عالم يفيض بالمعرفة والتكنولوجيا التى تتطور بسرعة هائلة مما جعل عالمنا مليء بالمثيرات البصرية التى تتطلب مهارات الثقافة البصرية لإدراكها لذلك فالبصر أصبح وسيلة هامة للتعلم حيث إنها حاسة تزود الإنسان بالعديد من المعلومات فالصورة تساوى ألف كلمة " A picture is worth a thousand words". وهناك ثلاث مفاهيم مرتبطة بتكوين تلك الثقافة البصرية والتي بدورها تؤثر علي تصميم التصميمات البصرية وإيصالها للمتلقي لابد أن نعرض شكل (١، ٢).

- **الاتصال البصرى ..... Visual Communication**(***)
- **التعلم البصرى ..... Visual Learning**(****)
- **التفكير البصري ..... Visual thinking**
-

شكل(1)
مخطط يوضح العلاقة بين الثقافة البصرية والتعلم البصري والتفكير البصري والاتصال البصري

شكل(2)
يوضح طريقة أكثر توضيحاً للعلاقات المفاهيمية بين مجالات الثقافة البصرية

وقد وضع "جون هورين John Hortin *" تعريفا للثقافه البصريه "هى القدرة على فهم (او قراءة) واستخدام (او كتابة) الصور، والتفكير والتعلم من خلالها"، ومن خلال نظرته هذه؛ فقد أشار إلى كافة الأطر النظرية الموجودة فى مختلف العلوم والمجالات والتى تقدم أطروحات ونظريات تخدم هذا التصور، وقد اختتم الفصل الذى كتبه بجملة بليغة وهى: "الثقافة البصرية هي التدريب على التفكير البصرى" .

وعندما نتناول مفهوم التفكير البصري لابد ان نتعرف أولا علي مفهوم التفكير بشكل عام فالتفكير Definition of Thinking يمثل أعقد أشكال السلوك الإنسانى، فهو فى أعلى مستويات النشاط العقلى، كما يعتبر من أهم الخصائص التى تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات.

---

[5]() فرانسيس دواير وديفيد مايك مور ، مرجع سابق ، ص 125.

*** هو القدرة على توصيل رسالة أو فكرة فى صورة بصرية وهناك عدة نماذج وتعريفات للاتصال، فمعظمنا يعرف الاتصال بأنه علمية تفاعلية أو تبادلية، ومكونات العملية هى فى الغالب، المرسل، والرسالة، والقناة، والمستقبل . وإذا قبلنا هذه المكونات كخصائص مميزة للاتصال . فلابد لكى يحدث الاتصال البصرى أن يكون هناك تبادل للمعنى. وعملية التعلم هى شكل من أشكال الاتصال، و لكى يحدث التعلم؛ فلابد من فهم كل من محتوى وشكل الرسالة المقدمة للتعبير عن الأفكار وتوضيح المعانى .

**** قد قامت هذا المفهوم على فكرة ان استخدام المواد البصرية يجعل الافكار المجردة محسوسة فهو يشير الي التعلم من خلال البصريات والي البحث في تصميم البصريات بهدف التعلم ثم ارتبط فيما بعد بمفهوم (تصميم الرسالة Massage Design) ثم ارتبط بمصطلح (قراءة الصورة Reading Picttures) واليوم فإن التعلم البصري يشير علي اكتساب وبناءالمعرفة كمحصلة للتفاعل مع الظواهر البصرية .

* جون هورتن John Hortin ....أستاذ التربية فى جامعة ولاية كانساس، النائب السابق للجمعية الدولية للثقافة البصرية، وله خبرة واسعة فى مجال التعلم البصرى، محرر سابق فى جريدتين هما: جريدة اللغات البصرية اللفظية، وجريدة الإعلام وتعليم الكبار.

وهذا السلوك ناتج عن تركيب الدماغ لديه وتعقيده مقارنة مع تركيبه البسيط عند الحيوان؛ واستطاع الإنسان من خلاله أن يتميز عن الحيوان بقدرته على تحديد الهدف من سلوكه.

هذا التعقيد فى التفكير أدى إلى تعدد تعريفاته وتعدد اتجاهاته وهناك عدة تعريفات للتفكير أن التفكير هو الأداة الصالحة لمعالجة المشكلات والتغلب عليها وتبسيطها [1]، ويعرف ايضاً التفكير بأنه سلسلة من النشاطات العقلية التى يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير تم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة: اللمس، البصر، السمع، الشم والتذوق [2]، فالتفكير Thinking هو ذلك الشئ الذى يحدث أثناء حل المشكلة وهو عملية واعية يقوم بها الفرد عن وعى، ورغم أن التفكير عملية فردية لكنها لا تتم بمعزل عن البيئة المحيطة، أى أن عملية التفكير تتأثر بالسياق الاجتماعى، والسياق الثقافى الذى تتم فيه وأيضا المثيرات الفيزيائية لها تأثير على التفكير أى أن المثيرات الموجودة فى البيئة تدعو الفرد لأن يفكر ويحلل هذه المثيرات وأيضا التفكير يحدث ضمن البيئة الفسيولوجية، وكلما زاد فهمنا بوظائف الدماغ زاد فهمنا لعملية التفكير [3].

وتتعدد أشكال التفكير Forms of Thinking فهناك أشكال متعددة لعملية التفكير يمكن أن يمارسها الفرد تبعا للموضوع الذى يكون محور التفكير وتبعا للظروف والإمكانيات المتوفرة نذكر منها (التفكير المنطقى [*]logical Thinking– التفكير الناقد[**]Critical Thinking – التفكير العلمى[***]Scientific Thinking – التفكير الإبداعى[****] Creative Thinking[1]– واخيراً التفكير البصرى Visual Thinking (وهو موضوع البحث)

التفكير البصرى ... Visual thinking

هو التفكير الناشئ عما نراه وهو أحد أنماط التفكير الغير لفظى وهذا النوع من التفكير يعتمد على ما تراه العين وما يتم إرساله من شريط من المعلومات المتتابعة الحدوث (المشاهدة) إلى المخ حيث يقوم بترجمتها وتجهيزها وتخزينها فى الذاكرة لمعالجتها فيما بعد . وهو عبارة عن مرحلة تفاعل داخلية ؛ تتضمن المزيد من التعامل مع التصور العقلى وهو أكثر ارتباطاً مع بقية المراحل سواء حسياً أو انفعالياً ، ويعرف التفكير البصرى بأنه "تنظيم الصور العقلية التى تدور حول الأشكال، والخطوط، والألوان، والأنسجة، والمكونات". ويشير التفكير البصرى إلى التبصر من خلال الصور، فالصور هى عبارة عن رسوم عقلية للخبرات الحسية، والمدركات، والتخيلات، والتفكير البصرى يعبر فى أبسط صوره عن التعامل مع الرموز التى تمثل العناصر الخاصة بالبيئة الداخلية أو الخارجية باستخدام الصور الذهنية. ومصادر هذه الصور الذهنية تعتبر جزء هام من عمليات التفكير البصرى .

نشأ هذا النوع من التفكير في مجال الفن ، لاعتبار أن المتلقي ينظر إلى رسم ما فأنه يفكر تفكيرا بصريا لفهم الرسالة المتضمنة في الرسم ، وبالتالي يجمع بين أشكال الاتصال البصرية واللفظية في الأفكار علاوة على انه وسيط للاتصال والفهم الأفضل لرؤية الموضوعات المعقدة والتفكير فيها . وقد عرض بعض الباحثين نموذج متطور من إستراتيجية التفكير البصري في محاولة لفهم درجة الاختلاف بين مشاهدة التأثير لقطعة فنية ذات معنى لدى المتلقي حيث التمثيل بالأشكال البصرية يدعم التفكير البصري دونا عن أنواع التفكير الأخرى في تنمية القدرة على رؤية العلاقات الداخلية للشكل المعروض فضلا عن قدرة الكشف عن العلاقات النسبية ضمن الشكل وتنمية مهارات الاستدلال ، إذ أن التفكير البصري قدرة عقلية مرتبطة بالجوانب الحسية البصرية حيث يحدث عندما يكون هنالك تناسق

---

(1) نايفة قطامى، تعليم التفكير، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن 2001ن ص13.

(2) فتحى عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير، مهارات وتطبيقات، ط3، دار الفكر، عمان – الأردن 2007، ص40.

(3) إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثى: تعليم التفكير، ط3 مكتبة الشقرى، الرياض، 2003، ص12-13.

* هو التفكير الذى يمارس عند محاولة بيان الأسباب والعلل التى تكمن وراء الأشياء ومحاولة معرفة نتائج الأعمال، لكن أكثر من مجرد تحديد الأسباب أو النتائج أنه يعنى الحصول على أدلة تؤيد أو تثبت وجهة النظر أو تنفيها.

** تفكير تأملى معقول يركز على ما يعتقد به الفرد أو يقوم بأدائه. وعلى تقصى الدقة فى ملاحظة الوقائع التى تتصل الموضوعات ومناقشتها وتقويمها واستخلاص النتائج بطريقة منطقية سليمة ومراعاة موضوعية العملية وبعدها عن العوامل الذاتية كالتأثر بالنواحى العاطفية والأفكار المسبقة والأداء التقليدى

*** هو ذلك التفكير المنظم الذى يمكن أن يستخدمه الفرد فى حياته اليومية أو فى النشاط الذى يبذله حيث يمارس أعماله المهنية المعتادة أو فى علاقاته مع العالم المحيط وكل ما يشترط فى هذا النوع من التفكير هو أن يكون منظما وضمن خطوات محددة، وأن يبنى على مجموعة من المبادئ التى يطبقها الفرد فى كل لحظة دون أن يشعر به شعورا واعيا.

**** يعرف التفكير الإبداعى على أنه نوع من التفكير يوضع فى نمط معين بحيث يؤدى إلى نتائج إبداعية ويقصد هنا بأن التفكير يعتبر إبداعيا فى حال انطوى على نتائج إبداعية، فالتفكير الإبداعى يحتاج إلى إيجاد فكرة مبدعة وشخص مبدع بحيث تتحدد هذه السمات الإبداعية عن طريق النتائج. وهو نشاط عقلى يهدف على البحث والوصول إلى نتائج وحلول جديدة وإبداعية فى جميع الحقول العلمية واستخدامها لحل المشكلات القائمة وإيجاد الحلول الملائمة، ويتميز التفكير الإبداعى بالشمول والتعقيد وذلك لتداخل وتشابك جميع العناصر المساعدة فى إيجاده وتطويره.

متبادل بين ما يراه المتعلم من أشكال ورسومات وعلاقات وما يحدث من ربط ونتاج عقلي معتمد على رؤية الرسم المعروض .أن العلاقة بين البنية العرفية والتمثيل المعرفي علاقة تبادلية تقوم على الأثر والتأثر من الداخل التي يمكن من خلالها تمثيل المعرفة لأن التمثيل بالأشكال البصرية يدعم التفكير البصري من ناحية قدرة رؤية العلاقات الداخلية للشكل المعروض . وقدرة الكشف عن العلاقات النسبية في أبعاد الشكل وتنمية مهارات الاستدلال . إذ أن التعليم البصري يقوم على المعرفة ويرتبط بثلاث أصناف من السلوك :

- معرفة المتعلم على فكره الشخصي ومدى دقته في وصف تفكيره .
- التحكم والضبط الذاتي وما متابعة المتعلم .
- معتقدات المتعلم وحدسه فيما يتعلق بفكره عن مجال الفن وتأثيره على فكره .

وهذا يعني أن التفكير البصري نمط للتفكير تتداخل فيه طرق ثلاث من التفكير هي : التفكير بالتصميم ، التفكير بالرؤية ،والتفكير بالتصور . وعليه فأن التفكير البصري يشكل منظومة تعكس قدرة المتعلم على قراءة الشكل المعروض وتحويل اللغة البصرية إلى لغة لفظية . فإن القدرة على التفكير البصري تتداخل مع مهارة التفكير الناقد التي تساعد على حل المشكلات واستيعاب المفاهيم ، وبالمحصلة نجد أن التفكير البصري نشاط عقلي أكثر تعقيد من بقية مستويات التفكير ، فهو يعتمد في تمثيل الشكل المعروض بالرموز والرسوم التخطيطية والصور. فالتفكير البصري يتضمن مهارات التفكير الإبداعي لأن الأشكال والصور المعروضة على المتلقي تسعى لتطوير الإدراك لدى المتلقيوتتلخص تلك المهارات كالتالي :

- **مهارة القراءة البصرية....** تعني القدرة على تحديد أبعاد وطبيعة الشكل أو الصورة المعروضة
- **مهارة التمييز البصري.....** تعني القدرة على التعرف علي الشكل أو الصورة المعروضة ، وتمييزها عن الأشكال الأخرى أو الصور الأخرى .
- **مهارة إدراك العلاقات.....** القدرة على رؤية علاقة التأثير والتأثر من بين المواقع الظاهرات المتمثلة في الشكل أو الرسم المعروضة .
- **مهارة تفسير المعلومات....** القدرة على إيضاح مدلولات الكلمات والرموز والإشارات في الأشكال وتقريب العلاقات بينهما .
- **مهارة تحليل المعلومات** : تعني قدرة المتعلم في التركيز على التفاصيل الدقيقة والاهتمام بالبيانات الكلية والجزئية .
- **مهارة استنتاج المعنى** : تعني القدرة على استخلاص معاني جديدة والتوصل إلى مفاهيم ومبادئ علمية من خلال الشكل أو الصورة المعروضة . وهذه الخطوة محصلة للخطوات .

شكل(٣) العلاقة بين القدرات الفرعية المكونة للتفكير البصري

إذ أن تمثيل الأفكار بصريا من أشكال ورسوم وصور يثير المتلقي في اكتشاف معنى المضامين التي أمامه وهذا يؤدي إلى تفكير أفضل وتطورا تصاعديا نحو الإبداع ومؤشرا على البناء التطوري الإدراكي . فقراءة الشكل البصري يهدف إلى فهم المعنى ويشمل الفهم في قراءة الشكل والربط والرمز والمعنى وتنظيم الأفكار المقروءة ، فهو جملة النشاطات التي تتيح تحليل المعلومات الملقاة في صيغة ارتباطات وظيفية في الشكل المعروض أي جملة نشاطات ربط المعلومات الجديدة بالمعطيات المكتسبة سابقا والمخزونة في الذاكرة ونماذج الفهم هذه وثيقة الصلة بتمثيل الشكل العروض .

وقد عرفرودولف آرنهايم Rudolf Arnheim" (*)... في كتابه التفكير

*رودولف آرنهايم 1904-2007، عالم النفس وكاتب ألمانى المولد، منظر فى الفن وعلم النفس والسينما. من أشهر كتبه تتعلق بالفن وعلم النفس، مثل العين الخلاقة (A Psychology of the Creative Eye)، التفكير المرئى (Visual Thinking)، من كتبه الأكثر أهمية: الفن والإدراك البصرى (Art and Visual perception) الذى يعتبر واحد من أكثر الكتب تأثيرا على الفن فى القرن العشرين.

البصرى 1969 Visual Thinking أهمية اللغة بوصفها وسيلة لتنظيم التفكير، يقول ارنهايم (Rudolf Arnheim) فى كتابه : إن التفكير البصرى هو محاولة لفهم العالم من خلال لغة الشكل والصورة، وأن هذا الفهم يأتى من خلال نوعين من المعرفة هما :

- **المعرفة الحدسية (Intuitive Cognition)**

تحدث المعرفة الحدسية فى المجال الإدراكى عندما تتفاعل القوى، وان هذا التفاعل يكون شديد التركيب حيث أن الجانب الأكبر منه يحدث تحت مستوى الشعور، فعند النظر إلى لوحة فنية فإن المتلقي يحاول إدراك الوحدات أو الأجزاء التى تتكون منها اللوحة من أشكال وصور وألوان ومن خلال عملية التفاعل بين تلك المكونات وتأثيراتها الإدراكية فإنه يتم إدراك اللوحة بشكل كلى وعند الوصول إلى عملية الإدراك بشكل كلى فإن التفاعل يصبح مشعورا به وإن عملية تنظيم المفردات المدركة تعتمد على طبيعتها وموقعها ووظيفتها فى العمل ككل. والأمر نفسه يمكن قوله بالنسبة إلى الأعمال الإبداعية البصرية الآخرى كالنحت والعمارة والصور الفوتوغرافية وغيرها.

- **المعرفة العقلية "المعرفة الذهنية أو الفكرية" (Intellectual Cognition)**

وهنا يقوم المشاهد بتفحص كل مفردة من العمل وبتحديد العلاقات الناشئة بين تلك المفردات، وبدلا من إدراك الصورة أو المشهد البصرى بشكل عام فإنه يقوم بتوصيف كل شكل أو لون أو صورة على حدة ومن ثم يلجأ إلى أجزاء علاقات بينها من خلال الدمج والتركيب . فيقوم المبدع والمتلقى . بدلاً من امتصاص الضرورة الكلية، أو العمل الإبداعى باعتباره كلاً متكاملاً، بتحديد المكونات والعلاقات المختلفة التى يتكون منها العمل، ثم يتقدم بعد ذلك نحو فحص العلاقات الموجودة بين هذه العناصر الفردية، ثم يحاول بعد ذلك أن يقوم بالدمج أو التركيب ما بين هذه العناصر. ويؤكد أرنهايم أنه ليس هناك صراع ضرورى ما بين المعرفة الحدسية والمعرفة العقلية، إن المعرفة الحدسية (الكلية التركيبية) والمعرفة العقلية (الجزئية التحليلية) ضروريتان بشكل خاص خلال عمليات التفكير البصرى وفى كل الفنون البصرية.

فإذا أراد المشاهد أن يتعقب عالمه من خلال التفكير البصرى فلا بد أن يميز بما ينظر إليه وذلك من خلال المشاهد البصرية القوية التكوين وذات العلاقات المترابطة . فإن إبداع الجمال يفرض . فى جوهرة . مشكلات خاصة بالاختيار والتنظيم . الاختيار لما هو مناسب فى الطبيعة والحياة، والتجاهل لما هو ثانوى أو غير مناسب، ثم القيام بالتنظيم لما تم اختياره فى أشكال جديدة ومفيدة ومؤثرة. كذلك، فإنه من أجل جعل غير المرئى مرئياً يحتاج الفنان لأن يلتقط الخصائص الجوهرية فى اللامرئى ويبرزها فى المرئى ، من خلال الصور، والصور هى أحجار البناء الأساسية فى التفكير البصرى. فإن بعض الأهداف المنسوبة إلى الفن هى وسائل أيضاً لجعل التفكير البصرى ممكناً : فالجمال والاكتمال والتناغم والنظام وغيرها والتى تحقق بعض وظائف الفن وأهدافه تقدم كلها لنا عالماً وثيق الصلة بنجاحات الإنسان وانفعالاته وأفكاره وهى . فى الوقت نفسه . الشروط التى لا يمكن الاستغناء عنها لجعل الحالات المعرفية والوجدانية للفنان واضحة نسبياً ومتماسكة وشاملة ومؤثرة ، والتى توجد ما بين "ماقيل" What is Said "وكيف قيل" ? How it is Said أى بين ما أراد الفنان أن يعبر عنه فى عمله وكيف عبر عنه فعلاً [1].فالعمل الفنى هو نوع من التفاعل بين الرؤية والتفكير [2] لدى المبدع ولدى المتلقى .

فهناك بنية موجودة فى الصورة واللغة، لكن بنية المعلومات فى الضوء المحيط أكثر ثراء واستمراراً من بنية المعلومات الموجودة فى اللغة. إن كل فنان يعرف أن هناك أفكاراً يمكن التعبير عنها بصرياً دونما حاجة للتعبير للفظى عنها؛ فاللوحة . فى رأيه . هى عرض للمعلومات البصرية التى لا تتكون من نقاط لونية أو أشكال مألوفة ذات معان محددة فقط، لكنها تكون أيضاً ذات تنظيم بصرى يتكون من تدريج من الوحدات المتفاعلة[3].

<u>جذور التفكير البصرى</u>

يتطلب التفكير وجود الصور وتشتمل الصور على تفكير، ومن ثم فإن الفنون البصرية **<u>هى مهد التفكير البصرى</u>**، أما عندما نتعامل مع الفن على أنه "شكل" فقط من التفكير البصرى، فقد يكون هذا أمراً أحادى الجانب، أو قاصراً. وذلك لأن الفن يفى بوظائف أخرى ويحققها، وهى

(1) Arnaheim, R, Visual Thinking. Berkeley: University of California Press ,1969,P. 104.

(2) Toylor, J (1981) Learning to look. A handbook for visual arts. Chicago. Univ. of Chicago Press P. 150.

(3) شاكر عبد الحميد (2001) التفضيل الجمالى، سيكولوجية التذوق الفنى. الكويت. المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. سلسلة عالم المعرفة العدد 267. ص 49.

وظائف تعد أساسية بالنسبة إليه. ويجعل الفن غير المرئى مرئياً، ويجسد تكوينات التخيل والخيال على هيئة أعمال فنية متميزة. والفن يخلق الجمال والاكتمال والتناغم والانسجام والنظام، ومن أجل أن يحقق الفن ذلك كله، لابد للتفكير البصرى من أن يقوم بدوره المهم هنا.

فإن امتزاج خبرات الحاضر المختزنة والممتزجة مع خبرات الماضى ومعلوماته إنما تضع الشرط الجوهرى المسبق للإدراك فى المستقبل، وهكذا تتواصل العمليات الخاصة بالتفكير البصرى وتستمر، فإن تأثير الذاكرة الخاصة بالماضى، على عملية الإدراك (الخاصة بالحاضر) هو تأثير قوى ومهم، لكن أى شكل معرفى مكتسب فى الماضى، لا يمكن أن يكون له تأثيره وتطبيقه على ما يرى فى الحاضر، إلا إذا كان المدرك (الحالى) له شكل فى ذاته، أى كان له هوية وتكوين خاص به، فالذاكرة تفيد الإدراك وتسعفه بالأشكال المكتملة أو شبه المكتملة، إنها تعاونه فى التحديد والتعرف على الأشكال والصور، لكن عندما تكون هذه الأشكال والصور جديدة أو غير واضحة، قد يكون للذاكرة هنا دورها المتواضع أو غير المهم، بينما تكون لعمليات التخيل والخيال والتوقع دورها الأكثر أهمية. و التفكير البصرى هو "طريقة لفهم العالم من خلال لغة الشكل والصورة".

حركة العينين والإدراك البصرى : اهتم بعض الباحثين بتسجيل حركات العينين كأسلوب من أساليب دراسة الدور الذى تلعبه هاتان العينان فى تحليل التكوينات البصرية وتفسيرها، ويطلق على حركة العين أيضا اسم الحركة الخاطفة Saccadic Movent

وقد أطلق على هذه الحركة هذا الاسم العالم الفرنسى إميل جافال E. Javal عام 1878، عندما لاحظ أن أطفال المدارس فى أثناء قراءتهم لنص مكتوب يقومون بذلك من خلال تحريك العينين، وفيما يشبه القفزات الصغيرة السريعة (Par Saccades) ، ثم يتوقفون برهة، ثم يقفزون بعينيهم إلى جزء آخر من النص، ثم يتوقفون برهة، ثم يقفزون وهكذا.

ويعتقد بعض الباحثين أننا نرى الأعمال الفنية البصرية خاصة التشكيلية منها، بالطريقة نفسها؛ فاننتباهنا ينجذب نحو جانب ما مثير للاهتمام فى أحد أطراف العمل الفنى، ثم تتحرك أعيننا بعيدا عنه، ثم تتوقف برهة، ثم تتحرك، وهكذا. خلال عملية التثبيت للعينين هذه على جانب من العمل الفنى حوالى 300 ملى ثانية (الزمن الذى تستغرقه عملية الطرف بالعين هو 20 ملى ثانية) لكن هذا المدى من الممكن أن يتنوع بين الأفراد، بل لدى الفرد الواحد، إلى حد كبير وتميل التثبيتات التى تتم بالعينين فى أثناء القراءة إلى أن تكون أقصر، مع وجود فروق فردية كبيرة بين الأفراد، تتدخل فيها عوامل كثيرة من بينها مثلا القدرات الخاصة بالقارئ. وينظر إلى ما يحدث خلال إدراكنا للوحة تشكيلية مثلا على أنه يتم على نحو مماثل، فنحن نثبت أعيننا على جانب معين من اللوحة لفترة قصيرة، ثم نتحرك ثم نتوقف برهة أخرى إلى جانب آخر، ثم نتحرك إلى ملمح ثالث من اللوحة .

وتلعب الخبرة كما قلنا دورها المهم هنا، وقد تبين من بعض الدراسات أن الفنانين يقومون بعمليات تثبيت أطول للعينين على الأعمال الفنية حتى لو كانت مألوفة لهم، مقارنة بغير الفنانين، وتبين أيضا أن الأفراد ذوى الخبرة بالفن يركزون أكثر خلال عمليات التثبيت والحركة للعينين هذه على العلاقات بين عناصر العمل الفنى، أما الأقل خبرة فيركزون على عناصر العمل المنفردة أكثر من تركيزهم على العلاقات. وتلعب توقعات المتبقى للعمل الفنى ومقاصده من المشاهد دورا مهما فى هذا الشأن أيضا. كما تلعب المعلومات المتوفرة فى المثير البصرى الذى ننظر إليه دورا أساسيا أيضا .كما تحدث حركات العينين هذه عندما نقرأ، وعندما ندخل "سوبر ماركت"، وعندما نعبر أحد الشوارع، أو ننظر إلى مجموعة من الناس، أو نقوم بمشاهدة أحد الأعمال الفنية البصرية أو غير البصرية، أو نتابع مباراة رياضية فى التليفزيون، أو غير ذلك من النشاطات التى نحاول من خلالها القيام بعمليات استكشاف جمالية أو عمليات استكشاف معرفية، أو نقوم بهذين النوعين من العمليات معاً.

الرموز والتفكير البصرى

الرمز فى اللغة يعنى الإيماء والإشارة والعلامة أو أى شكل من أشكال التعبير اللفظية وغير اللفظية ويتمكن العقل البشرى من خلال الرموز من إضفاء المعنى ومن استخلاص المعنى أيضا، على المعلومات المتناثرة والموضوعات المبعثرة، والأشياء المتباعدة، ولذلك فإن الرموز هى وسائل للفهم ولإحداث العلاقات بين ما هو موجود داخل الإنسان، وما هو موجود خارجه بين العالم الطبيعى والعالم الإنسانى بين العالم المحدود والعالم اللامحدود . وقد عرف بعض المفكرين الرمزية بأنها فن التفكير من خلال الصور، وقال البعض الآخر بأن الصورة تصبح رمزية عندما يكون معناها كامناً خلف الظاهر، هكذا ترتبط الرموز بالمرئى واللامرئى وتربط بينهما.

التفكير البصرى وفكرة المكان

ارتبط الخيال بالتفكير البصرى، والتفكير البصرى –فى أبسط تعريفاته– التى قدمها عالم النفس الألمانى الأصل رودلف أرنهايم هو: محاولة فهم العالم من خلال لغة الصورة والشكل. وحول مفهوم الشكل وكيفية إدراكه ثم تجسده أو تمثيله على سطح مستو ذى بُعدين أو أكثر بعد ذلك، أى فى ضوء التصور لفكرة المكان على نحو متلاحق ومستمر تطور المفهوم الإنسانى للفن.

المصمم والتفكير البصري الابداعي أثناء التخطيط لحل المشكلات الإتصالية

إن المصممين الجرافيكيين المبتكرين يحتاجون بشكل اساسي إلي أن يكونوا مفكرين عظماء ,حيث يمثل التفكير في التصميم حافز للأبتكار وجلب اشياء جديدة ومختلفة إلي العالم [1].

تطور الافكار **The Evolution of Ideas**

يجب علي المصممين اليوم أختراق كل الرسائل الاعلانية المنافسة علي نحو بارز ومتميز ومقنع أكثر من أي وقت مضي . ويجب أن يكون ذو صلة بالجمهور المستهدف ويلبي إحتياجات العميل علي حد سواء , ولعل هذا ينطوي علي القرة علي التفكير البصري ورؤية الاشياء بشكل مختلف وترجمتها بصرياً ([2]). وفي المراحل من تطوير الفكرة هناك طريقتان رئيسيتان للتعامل مع موجز التصميم الا وهما :استخدام التفكير الخطي أو استخدام التفكير الجانبي , وهذان النوعان من التفكير متضادان حيث أن الاول مركز ومنهجي والثاني منتشر وتوسعي ولكن كلاهما مفيد علي قدم المساواة كأدوات بحث وتطوير ([3]).

(1) التفكير الخطي (Linear Thinking) :

ينطوي التفكير الخطي علي عملية التفكير الاستراتيجي , وذلك بأستخدام منطق خطوة بخطوة وتتبع مسار محدد , هذا النوع من التفكير غالباً ما ينطوى علي فكرة أو مفهوم محدد سلفا يعمل علي مراحل , وبصفة عامة سيشمل ذلك تقسيم الفكرة إلي مكونات يمكن التحكم فيها , مع مراعاة اللون (Color) والطراز الكتابي (Typo) والتركيب (Composition) والحجم (Scale) , والعمل من خلال كل منها من أجل وضع الصيغة النهائية للتصميم المناسب مع المفهوم [4].

(2) التفكير الجانبي (Lateral Thinking)

هو مصطلح صاغه إدوارد دي بونو (Edward de Bono [*]) لوصف طريقة التفكير التي تمكننا من إيجاد الحلول والافكار البديلة التي لم يتم التوصل إليها عادة من خلال الطرق التقليدية او العقلانية او الروتينية لتناول المشاكل , ويشار أليه أيضا باسم التفكير المتوازي , حيث أنه ينطوي علي التقنيات والاساليب التي تستخدم التجريب او التقييم واشكال البحث الابداعية وغير المباشرة وتمكن المصمم من حل المشاكل من خلال نهج غير مباشر وخلاق [5].

وينقسم هذا النوع من التفكير إلي :

- التفكير المتباين أو التفكير التباعدي **Divergent Thinking**

تتمثل أفضل وسيلة للعثور علي الأفكار الجديدة في البدأ بطرق حديثة للإقتراب من المشكلة ، وهذا يتطلب إستخدام التفكير المتباين ، ويستخدم هذا المصطلح لوصف عملية البحث في إتجاهات مختلفة للعثور علي أفكار بديلة (أو استخدام العبارة القديمة والتي يكثر إستعمالها ، ألا وهي التفكير خارج الصندوق Outside the Box ويمثل التفكير المتباين جوهر الإبداع لأنه يقودنا إلي الأفكار ، وأحياناً يقودنا إلي الأفكار العشوائية التي غالباً ماتكون بعيدة عن الطريقة التقليدية ، حيث يكون من السهل ان نسترسل مع فكرة مثيرة وبذلك يغيب عن بالنا الاهداف الإبداعية ، لهذا السبب يلي هذا النوع من التفكير دائماً التفكير المتقارب Convergent Thinking والهدف من التفكير المتباين أن يقوم المصمم بالتفكير خارج حدود المعقول ، وأخراج كل الافكار من رأيه وترجمتها ترجمه بصريا علي الورق وهذا النوع من

[1] Meinel , Christoph& Leife, Larry : Design Thinking , Understand-Improve-Apply. Springer .2011.p.xiii.

[2] Mahon ,Nik : Basics Advertising 03 , IDEATION , AVA publishing SA,Singapore,2011 p.70

[3] Dabner , Davied & Stewart ,Sandra & Zempol , Eric : Graphic Design School .The Principles and Practice of Graphic Design , John Wiley & Sons Inc., 5th Edition , 2014 , p. 14.

[4] Ibid ., p14.

[*] مواليد 19 مايو 1933 م , وهو طبيب وعالم نفس ,يكتب في مواضيع التفكير الابداعي , وهو حالياً يعمل مستشار في العديد من الشركات العالمية مثل كوكاكولا .

[5] Ambrose , Gavin & Aono – Billson ,Nigel : Basic Graphic Design 01 , Approach and Language ,AVA Publishing SA ,2011, P. 42

التفكير يميل إلي توليد كمية كبيرة من الحلول الغير تقليدية والاكثر غرابة والتي تجبر المصمم علي معالجة المشكلة من اتجاه مختلف تماما وغير متوقع .

- التفكير المتقارب **Convergent Thinking** : يشار إلي التفكير المتقارب عندما يتعين إعادة التفكير علي المشكلة الإبداعية ، وتقييم الأفكار والأراء التي تم إنشاؤها من خلال التفكير المتباين ،والمقارنة بين النتائج الابداعية في كلا الطريقتين < ويمكن القول آنه اذا كان التفكير المتباين هو المرحلة الابداعية لعملية التفكير واستكشاف الافكار البديلة ، فإن التفكير المتقاربيعيدنا إلي المسار الصحيح ، من خلال تقييم تلك الافكار من ناحية الأهداف المحددة في الموجز الابداعي . وترشيح هذه الأفكار التي توفر حلولاً مبتكرة قابلة للتطبيق.

ففى كتاب أطر العقل (عام 1983) للعالم النفس الأمريكى هوارد جارنر ميز بين سبعة أنواع عديدة من الذكاء منها: الذكاء الموسيقى والذكاء اللغوى والذكاء الاجتماعى والذكاء الرياضى ... إلخ، ثم أضاف إلى هذه الأنواع بعد ذلك نوعين هما : الذكاء الطبيعى والذكاء الوجودى، لكن نوع الذكاء الذى يهمنا فى سياق البحث هو ما يسمى "بالذكاء المكانىSpatial Intelligence " فإن الأهمية الجوهرية للتفكير المكانى فى الفنون البصرية هو من الأمور الواضحة، وإن الذكاء المكانى "هو القدرة على رؤية العالم على نحو دقيق وهو كذلك القدرة على القيام بالتغييرات والتحويلات فى العالم المادى (1). وتقع فى قلب الذكاء المكانى القدرات على إدراك العالم البصرى بدقة وإجراء التحويلات والتعديلات على إدراكات المرء العقلية، والقدرة على إعادة إبداع جوانب من الخبرة البصرية، حتى لو كان هذا فى غياب مثيرات مادية ذات صلة بهذه الخبرة... [2].

<u>الفنون البصرية والذكاء البصرى والعاطفى والعقلى:</u>

يشغل الذكاء البصرى حوالى نصف قشرة المخ تقريبا، وهو يتصل على نحو وثيق بالذكاء العاطفى أو الانفعالى وكذلك الذكاء العقلى أو العقلانى Rational intelligce ويقوم الذكاء البصرى[3] Visual Intelligenceبتكوين كل أشكال الواقع البصرى التى نعيش فيها ونتحرك ونتفاعل وبنائها، وهو يقدم هذه التكوينات والأشكال لهذين النوعين من الذكاء (العاطفى والعقلانى) فتستخدمانها بدوريهما كمادة خام فى الإنشاء لتكوينات معرفية جديدة. إن الفهم لكل هذه الأنواع من الذكاء: البصرى والانفعالى والعقلانى وكيف تتفاعل مع بعضها بعضا هو من الأمور المهمة فى فهمنا لأنفسنا ككائنات بشرية، وأيضا لطرائق تفاعلنا مع البيئة المحيطة بنا، وكذلك العالم الذى نعيش فيه، ويعد الذكاء البصرى أكثر جوانب الذكاء أهمية –على الأقل بسبب المساحة الأكبرالتى يحتلها فى قشرة المخ . إن فهم هذا النوع من الذكاء مهم جدا فى الفهم لما وصل إليها لإنسان ومأأصبح عليه وما يمكن أن يصل إليه أيضا. فلقد أدى التقدم الذى أحرزه الإنسان فى فهم ذكائه البصرى– وربما بسبب هذا الذكاء– إلى تحولات مهمة فى المشهد الثقافى والتكنولوجى الذى قم لنا أجهزة مثل السينما والتليفزيون والواقع الافتراضى والقنابل الذكية والكاميرات الموضوعة على المريخ وأنظمة الرؤية بالكمبيوتر التى توجه السيارات عبر المسافات البعيدة. بل يمكنها قيادتها أيضاً.

<u>الخريطة الذهنية.... Mind Mappingكشكل من اشكال التفكير البصري (شكل ٤)</u>

الخريطة الذهنية هى مخطط يستخدم لتوضيح المعلومات بصرياً .وغالباً ما يتم إنشاء خريطة ذهنية حول كلمة واحدة أو نص ، والتي تضاف إلى الأفكار المرتبطة بها، والكلمات والمفاهيم . إن الفئات الرئيسية تنبع من المركز ، والفئات الأقل فروع فرعية من فروع أكبر .إنها طريقة تعتمد على رسم كل ما تريده في ورقه واحدة بشكل منظم تحاول فيها قدر الاستطاعة استبدال الكلمات برسمة " صورة " تدل عليها بحيث تستطيع وضع كل ما تريد في ورقة واحدة بطريقة مركزة مختصرة وسهلة التذكر بالنسبة لك . وبهذا تكون الخريطة الذهنية هي أداة تساعد على التفكير والتعلّم والإبداع و تعتبر الخريطة الذهنية أسهل طريقة لإدخال المعلومات الى العقل وإخراجها منه. فهي إحدى السبل الإبداعية والمبتكرة لتدوين الملاحظات، والتي تخطط الأفكار تخطيطا كاملا. ويعرف توني بوزان [*] Tony Buzan الخريطة

(1) شاكر عبد الحميد العملية الإبداعية فى فن التصوير –(1987). الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب. سلسلة عالم المعرفة.
(2) هوارد جارنر (2004) أطر العقل، نظرية الذكاء المتعددة (ترجمة محمد بلال الجيوى) الرياض – مكتب التربية العربى لدول الخليج ص 365 – 366.

3 يعرف أيضاً بقدرة المعالجة البصرية والقدرة علي توليد الافكار وتخزين واسترجاع وتحويل الصور والاحاسيس البصرية وترجمتها بصرياً والتي تتطلب إدراك وتحويل الاشكال المرئية او الأشكال أو الصور

* توني بوزان Tony Buzan 1942 المعروف بأستاذ الذاكرة،هوصاحب السجل العامرمن الأعمال والكتابات المتميزة في حقلا لذاكرة ،كما أنه واضع خرائط العقل (والتي تعد أداة التفكيرمتعددة الأساليب لتقوية الذاكرة).

الذهنية بانها "هي تقنية رسومية قوية تزودك بمفاتيح تساعدك على استخدام طاقة عقلك بتسخير أغلب مهارات العقل كلمة ، صورة ، عدد ، منطق ، ألوان ، إيقاع ، في كل مرة و أسلوب قوي يعطيك الحرية المطلقة في استخدام طاقات عقلك. الخريطة الذهنية يمكن أن تستخدم في مختلف مجالات الحياة وفي تحسين تعلمك وتفكيرك وبأوضح طريقة وبأحسن أداء بشري ".

(شكل ٤) مثال لشكل الخريطة الذهنية.... Mind Mapping

النتائج :

- خلق وابتكار تصميمات جديدة تحقق المطلوب في انجح صوره .
- إبتكار اشكال جديدة لم تألفها العين وتخدم التصميم وتبعد عن التقليدية .
- إتاحة الفرصة لتقديم الرسالة الاعلانية بطرق مختلفة ومبتكرة .
- تطوير الثقافة البصرية للمصمم لانتاج تصميمات تتميز بالتفرد وعدم تكرر ما هو مؤلوف .

التوصيات :

- الاهتمام بتنمية الثقافة البصرية للمصمم وما يترتب عليه من تنمية القدرات البصرية لديه .
- الاهتمام بالتفكير البصري كأحد اساليب تنمية المهارات لدي المصمم .
- الاتجاه إلي ابتكار ومتفردة أشكال وتصميمات مبتكرة تبعد عن التقليدية والتكرار .

المراجع المستخدمة في البحث

المراجع العربية :

1. أيرين روجوف، دراسة الثقافة البصرية (ترجمة: شاكر عبد الحميد) ، مجلة و فصول العدد 62 ربيع وصيف 2003 .
2. إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثى: تعليم التفكير، ط3 مكتبة الشقرى، الرياض، 2003.
3. دعاء فاروق بدوى ، عوامل تحقيق الإدراك البصرى بين الملصق الإعلانى الداخلى وملصق الطريق، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2001.
4. دعاء فاروق بدوى ، عوامل تحقيق الإدراك البصرى بين الملصق الإعلانى الداخلى وملصق الطريق، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2001.
5. رشاد السيد محمود ،الصور والرسوم فى الإعلان المطبوع بين الواقعة والتعبيرية، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2002.
6. شاكر عبد الحميد (2001) التفضيل الجمالى، سيكولوجية التذوق الفنى. الكويت. المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. سلسلة عالم المعرفة العدد 267.

7. شاكر عبد الحميد العملية الإبداعية فى فن التصوير –(1987). الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب. سلسلة عالم المعرفة.
8. طلعت أسعد عبد الحميد ، التسويق الفعال، مكتبة الشقرى، لبنان، 1999.
9. فتحى عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير، مهارات وتطبيقات، ط3، دار الفكر، عمان – الأردن 2007.
10. فرانسيس دواير وديفيد مايك مور ، الثقافة البصرية والتعليم البصرى ، الجمعية الامريكية الدولية للثقافة البصرية "IVLA" ، ترجمة نبيل جاد عزمي أستاذ تقنيات التعليم المشارك كلية التربية – جامعة حلوان ، مكتبة بيروت ، سلطنة عمان .2014.
11. نايفة قطامى، تعليم التفكير، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن . ٢٠١١ .
12. نجلاء سمير حسنين ،تنمية الوعى الإدراكى لجمهور الإعلان فى مصر من خلال الاستراتيجية التصميمية 2004.
13. هوارد جارنر ، أطر العقل و نظرية الذكاء المتعددة (ترجمة محمد بلال الجيوى) الرياض – مكتب التربية العربى لدول الخليج ، 2004 .

المراجع الاجنبية :

14. Ambrose , Gavin & Aono – Billson ,Nigel : Basic Graphic Design 01 , Approach and Language ,AVA Publishing SA ,2011.
15. Arnaheim, R, Visual Thinking. Berkeley: University of California Press ,1969.
16. Barry, Ann Marie Seward: Visual Intelligence, Perception and Manipulation in Visual Communication, State University of New York Press, 1997.
17. Dabner , Davied & Stewart ,Sandra & Zempol , Eric : Graphic Design School .The Principles and Practice of Graphic Design , John Wiley & Sons Inc., 5th Edition , 2014 .
18. Electronic Journal for the Integration of Technology in Education, vol. 1, No. 1, 2001.
19. Johnson, A (2000) up and out using Creative and Critical Thinking skills to enhance learing: London: Allyn and Bacon.
20. Mahon ,Nik : Basics Advertising 03 , IDEATION , AVA publishing SA,Singapore,2011 .
21. Meinel , Christoph& Leife, Larry : Design Thinking , Understand–Improve–Apply. Springer .2011.
22. Toylor, J (1981) Learning to look. A handbook for visual arts. Chicago. Univ. of Chicago Press.